الجامعة في أزمة موت، أو قيامة؟

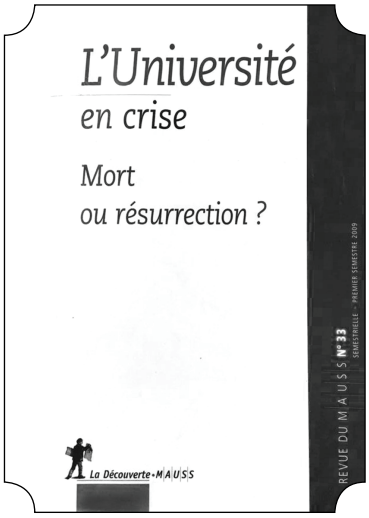

الكاتب: مجموعة مؤلفين

الناشر: La Découverte

الصفحات: 381

سنة النشر: 2009

مراجعة: إدارة التحرير

أثارت مشاريع إصلاح الجامعة في أوروبا، وتغيير أنظمتها التعليميّة الكثير من النقاش في الأوساط الأكاديميّة. ويأتي التساؤل الّذي يطرحه مؤلّفو هذا الكتاب عن موت الجامعة، أو إعادة إحيائها في هذا الإطار من القلق في ما يتعلّق بمستقبل تلك الإصلاحات، الّتي غيّرت ليس فقط في مناهج التعليم وعدد سنوات الدراسة؛ بل وفي وظيفة الجامعة نفسها الّتي باتت بحسب تلك الإصلاحات أكثر ترابطًا مع سوق العمل، ومع ما أطلق عليه في هذا الكتاب «تسويق المعرفة»؛ أي بيعها في السوق مثل أيّ سلعة، أو بضاعة.

يُناقش الكتاب مشاريع الإصلاح المقترحة، والّتي بدأ العمل بها تدريجيًّا في الجامعات الفرنسيّة. ويعود أحد المؤلّفين إلى شرح أسباب الأزمة، الّتي تمرّ بها

الجامعة في فرنسا، وإلى مشاريع الإصلاح في أوروبا؛ ليصل إلى تبرير رفض تلك الإصلاحات، الّتي حوّلت الجامعات إلى مدارس مهنيّة عليا.

إنّ فكرة الإصلاح الّتي تقترحها تلك المشاريع تدور حول مساهمة الجامعة في الإنتاج الاقتصاديّ، على أساس أنّ للجامعات دورًا مركزيًّا في المجتمعات والاقتصادات المعاصرة، وعليها أن تؤدّي هذا الدور من خلال أنظمة التعليم العالي، والبحث العلميّ.

إنّ المطلوب اليوم وقبل أيّ أمر آخر، أن تكون الجامعة من أدوات التنافس الاقتصاديّ العالميّ. وقد تحوّل تعبير «مجتمع المعرفة» إلى فكرة مهيمنة في هذا المجال، وبات على العالم الاجتماعيّ-الاقتصاديّ أن يطوّر علاقاته مع الجامعات، خاصّة وأنّ الرأسماليّة تشهد تحوّلات عميقة تريد من خلالها أن تجعل من المعرفة القاعدة الأساسيّة لتراكم رأس المال.

في اقتصاد المعرفة، تصبح هذه الأخيرة بضاعة تشبه الأرض، والعمل، والعملة، في اقتصاد السوق، كما يقول أحد مؤلّفي الكتاب في فصل بعنوان «الإخضاع الشكليّ للمعرفة إلى رأس المال»، والّذي يعتقد أنّ المعارف لم تنتج ولم تتراكم لكي تباع، فهي بالنسبة إليه، كالعمل تتداخل مع النشاط الإنسانيّ، وهي نتاج مسار جماعيّ وتراكميّ، ومجموع العلوم لا يمكن أن نشمله بالبُعد التسويقيّ للمعرفة، الّتي لا يمكن أن تخضع لمنطق رأس المال.

يُقدّم بعض المشاركين في هذا الكتاب الكثير من الاقتراحات حول مشاريع الإصلاح الجامعيّ مثل: استقلاليّة الجامعة، والتمويل، ومناهج التعليم، وأعداد الطلّاب، وفتح مسارات التعليم، وانفتاح الجامعة على المجتمع،... وذلك كلّه لمواجهة الأزمة غير المسبوقة، الّتي تمرّ بها الجامعة في فرنسا.

إنّ ما يجري، بحسب أكثر من مؤلّف في هذا الكتاب، من مشاريع إصلاحيّة في الجامعة، هو تغيير راديكاليّ ليس فقط لبِنية الإنتاج؛ بل لبِنية المعرفة أيضًا.